مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

تطور الأشكال السردية في الأدب العربي الحديث

الأدب السوري أنموذجا

The development of narrative forms in modern Arabic literature

Syrian literature as a model

الباحث : خالد أحمد المواس

Khaled Ahmed Al-Mawas

جامعة الزيتونة الدولية

AL-Zaytoonah University International

إشراف الدكتورة :

إيمان الطريفي

Supervised by Dr. Iman Al-Tarifi

almwas997@gmail.com

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ملخص البحث :

يتناول هذا البحث تطور الأساليب السردية في سورية في العصر الحديث، ويهدف إلى رصد تطور بعض أنواع السرد كالرواية والقصة منذ بداية عصر النهضة .

بدأت البحث بمقدمة حول تطور الأشكال السردية في الأدب العربي، وبعد ذكر أهداف البحث ومنهجيته عرفت السرد لغة واصطلاحا، ثم انتقلت إلى الحديث عن تطور الأشكال السردية السورية في العصر الحديث، مع ذكر أسماء بعض رواد هذا الفن، والاستشهاد ببعض أعمالهم الأدبية في فن الرواية والقصة حسب تسلسل تطور هذه الفنون، وختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات .

الكلمات المفتاحية: (السردية – الرواية – القصة – الأدب -الأدباء – النثر- تطور)

Abstract:

This research deals with the development of narrative styles in Syria in the modern era, and aims to monitor the development of some types of narratives, such as the novel and the story, since the beginning of the Renaissance era.

I started the research with an introduction about the development of narrative forms in Arabic literature, and after mentioning the objectives and methodology of the research, I learned about narrative language and terminology. Then I moved on to talk about the development of Syrian narrative forms in the modern era, mentioning the names of some of the pioneers of this art, and citing some of their literary works in

the story according to the sequence of development of these arts, and the research concluded with the most important results and recommendations.

Keywords: Narrative - novel - story - literature - writers - prose – development)

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

1. المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم ؛علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعه ، وسار على نهجه .

لقد كانت لغة السرد – قبل عصر النهضة – ثقيلة جامدة تخلو من أي مضمون فكري مما وسّع الهوّة بين لغة الكتابة ولغة الناس فالقارئ العادي لا يفهم ما يريده الكاتب لكن بعد منتصف القرن التاسع عشر أخذ الأسلوب المسجوع يتراجع أمام الأسلوب المرسل بسبب كثرة المترجمات وإطلاع المثقفين العرب على أساليب جديدة فأخذوا يميلون إلى التبسيط والسهولة والوضوح، وابتعدوا عن التعقيد والزخارف لكن هذا التحول لم يتم بشكل سريع، فالكاتب العربي لم يتخلص من الأسلوب القديم دفعةً واحدة بل كان الأمر تدريجياً. وبذلك أحدث الكتّاب الأوائل في السرد الحديث شيئا من التوازن في الشكل والمضمون، ونجح في ذلك مصطفى لطفي المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات وطه حسين وغيرهم.

إن هؤلاء الكتاب مالوا إلى البساطة والإيجاز، والبعد عن التأنق بكل أنواعه في الجوانب الشكلية حتى يكون ما يكتبونه مفهوماً عند الجميع فهم لم يرجعوا إلى الأسلوب المرسل فحسب ؛ بل اخذوا يبسطون أسلوبهم تبسيطاً لا ينزل به إلى مستوى العامة أو إلى الابتذال ، وفي الوقت ذاته لا يعلو عليهم بحيث يشعرون بشيء من العسر في قراءته وفهمه.

أما موضوعات السرد قبل التطور فكانت تدور في فلك الشعر؛ فلا تتعدى التهنئة لفتح أو ظفر أو تعزية أو وصف.. الخ. أي ظلت تدور في فلك البلاط والكثير منها ساذجة. لكن بعد التطور حدثت انتقالة مهمة فقد انتقل الكاتب، بسبب التأثر بالسرد الغربي، إلى موضوعات التطور الحضاري والقيم الاجتماعية الحديثة بفعل الاختلاط بالغرب المتفوق، وإلى مسائل المساواة والحريات الاجتماعية والسياسية ومحاربة الجهل والتخلف والشعوذات التي يمتهنها بعض المحسوبين على الدين. كما تناولوا قضية الصراع بين العلم والدين وكيفية التوفيق بينهما، فضلا عن مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية الحديثة .

وقد شَهِد السرد العربي الحديث بتأثير الاطلاع على الفنون الغربية فنوناً سردية جديدة لم تكن معروفة فيه من قبل وهي القصة القصيرة والرواية والمسرحية.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

2. أهداف البحث:

- تعريف السرد لغة واصطلاحا.
- ذكر أسباب النهضة الأدبية في الأدب العربي الحديث بشكل عام والأدب السوري بشكل خاص.
- رصد تطور الأشكال السردية في الأدب العربي الحديث منذ عصر النهضة.
- رصد تطور الأشكال السردية في الأدب السوري الحديث.
- ذكر بعض أنواع الأشكال السردية التي استحدثت وتعريف الرواية والقصة.
- ذكر نماذج للأشكال السردية من روايات وقصص في الأدب السوري.

3. أهمية البحث:

- إنه لمن الضروري التعرف على أسباب النهضة في الأدب العربي الحديث ومراحل تطور الأساليب السردية في الأدب العربي الحديث بشكل عام والأدب السوري على وجه الخصوص، وكذلك التعرف إلى أسماء رواد النهضة الأدبية في سورية الذين جددوا وطوروا في هذه الفنون، ورصد ظهور الفنون السردية الجديدة والتي لم تكن معروفة من قبل وهي القصة القصيرة والرواية ، وذكر أمثلة عن نماذج الأشكال السردية من روايات وقصص في الأدب السوري.

4. منهجية البحث :

لقد حرصت على البحث في أسباب النهضة الأدبية في الأدب العربي الحديث، ومراحل تطور الأساليب السردية في الأدب العربي الحديث بشكل عام والأدب السوري على وجه الخصوص متبعا بذلك المنهج الوصفي التحليلي وأدواته من ملاحظة واستقراء للتوصل إلى أفضل النتائج .

5. إشكالية البحث :

عند البحث في تطور الأساليب السردية في الأدب السوري الحديث الكثير من الجوانب التي لم يسلط عليها الضوء ؛ لذلك من واجب الباحثين التعرف إلى أسباب النهضة في الأدب السوري الحديث ومراحل تطوره وبدايات نهضة هذه الفنون، والتعرف إلى أسماء الأدباء الذين جددوا وطوروا في هذه الفنون، وبحث ظهور الفنون السردية الجديدة والتي لم تكن معروفة من قبل والتعرف على هذا النتاج الغزير لأدباءنا.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

6. **الدراسة** : لابد لنا في البداية إلا وأن نعرف السرد والأشكال السردية في الأدب العربي الحديث :

تعريف السرد :

السرد لغةً : سرد: السَّرْدُ فِي اللُّغَةِ: تَقْدِمَةُ شَيْءٍ إلى شَيْءٍ تأْتي بِهِ متَّسقاً بعضُه فِي أَثر بَعْضٍ مُتَتَابِعًا. سَرَد الْحَدِيثَ وَنَحْوَهُ يَسْرُدُه سَرْداً إِذا تَابَعَهُ. وَفُلَانٌ يَسْرُد الْحَدِيثَ سَرْدًا إِذا كَانَ جَيِّد السِّيَاقِ لَهُ. وَفِي صِفَةِ كَلَامِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمْ يَكُنْ يَسْرُد الْحَدِيثَ سَرْدًا " أَي يُتَابِعُهُ وَيَسْتَعْجِلُ فِيهِ. وسَرَد الْقُرْآنَ: تَابِع قراءَته في حَدْر منه. والسَّرَد: المُتتابع. وَسَرَدَ فُلَانٌ الصَّوْمَ إِذا وَالَاهُ وَتَابَعَهُ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "كَانَ يَسْرُد الصَّوْمَ سَرْداً[1]"(1) .

السرد اصطلاحًا: كلمة السرد من المصطلحات التي يكثر استخدامها عند الحديث عن النصوص الأدبية خاصة في القصص والسير الذاتية والروايات لأن السرد عنصر أساسي في بناء النص .

إنّ التعريف الاصطلاحي للسرد لا يبتعد ابتعادًا كبيرًا عن تعريفه اللغوي، بل على العكس يثبت التعريف اللغوي ويُوضّح معناه أكثر، فالسرد "اصطلاحًا " هو: نقل الأحداث أو الأخبار، سواء أكانت من صميم الواقع أم من نسج الخيال أم كانت متنوعة بين الاثنين معًا، وذلك ضمن إطار زماني ومكاني، ووفق حبكة فنية متقنة

ومحكمة تجذب المتلقي للاستمرار بمتابعة الأحداث المسرودة. ويعتبر السرد من تقنيات التعبير الكتابي المهمة، لأنّ الكثير من النصوص تعتمد عليه، حتى أنّه يعد نمطًا من أنماط النصوص الأدبية، ويُسمى بالنمط السردي، ويُقصد به أنّه أسلوب لسرد الأقاصيص والحكايات ونقل أحداثها بصورة منتظمة متسلسلة، وضمن سرد منتظم واضح المعالم، ويُبنى على العقدة والحل، ويعتمد اعتمادًا كبيرًا على الأفعال الماضية وضمائر الغائب.

من أبرز مميزات السرد في النصوص الأدبية أنّه يساعد في إبراز الشخصيات المؤثرة في القصة أو الرواية، إضافة إلى كثرة الأفعال الدالة على التتابع وسير الأحداث، مع استخدام حروف العطف لا سيما الواو عندما يكون

[1] (1)" لسان العرب "ابن منظور الأنصاري / دار صادر – بيروت / الطبعة: الثالثة / ج/3 صفحة / 211

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

السرد متواصلًا في وصف الأحداث وحركة الشخصيات، وممّا يشترك مع السرد في الأعمال الأدبية ويُعد مكملًا له هو الحوار، فيُعد الحوار عنصرًا مهمًا من عناصر السرد القصصي.

أما أهمية هذا السرد ودوره في النصوص الأدبية فإنه يُعد عنصرًا رئيسًا يُساعد في حركة النص القصصي أو الروائي، ويُبيّن للقارئ أو المتلقي أهمية التواصل مع الأحداث ومتابعتها حتى يتعلم كيف يُمكنه إيجاد الحلول لمشاكله بناء على موضوع السرد والغاية منه، إضافة إلى تنمية ملكة الخيال والتصور عند المتلقي، والارتقاء بالذوق الفني والجمالي في كتابة القصة ونقدها أيضًا.

تطور الأشكال السردية في الأدب العربي الحديث :

إن السردية العربية الحديثة بوصفها ظاهرة أدبية–ثقافية هي الثمرة التي انتهت إليها حركة التمازج التي قامت بين الرصيد السردي والتقليدي ومؤثرات ثقافية جديدة، والحراك الذي عصف بالأنواع الأدبية التقليدية، وفي مقدمة ذلك: ضعف الحدود الفاصلة بين الأجناس والأنواع، وتداخل النصوص، وغياب الهويات النصية الثابتة، وتفكك الأنظمة السردية الموروثة.

وقد كانت الكتابة الأدبية قبل عصر النهضة تميل إلى التكلف والتعقيد اللفظي، وتُعنى بالزخارف والمحسنات الشكلية كالسجع والبديع على حساب المعنى والفكر، حتى أصبحت اللغة ثقيلة جامدة فيها ضروب من التعقيد، وأضحت الموضوعات محددة وشخصية لا تتجاوز موضوعات الشعر من تهنئة أو مدح أو وصف، لكن استجدت في الحياة الثقافية عوامل أدت إلى تطور الكتابة النثرية ضمن التطور الحضاري والذي يسعى إلى نهضة عربية شاملة، منها نهضة الأدب وتطوره، ولم يعد الكاتب يدور حول شخص معين كالأمير أو الوزير يكتب حسب أوامره، وإنما أصبح يعبر عن أفكاره وعن مشاعره تجاه نفسه وتجاه القضايا التي يؤمن بها. وهكذا فقد تطورت الأشكال السردية في الأدب العربي الحديث وذلك يعود لأسباب كثيرة منها : اتصال العرب بحضارة الغرب وثقافته بعد دخول الحملة الفرنسية مصر ودخول المطبعة ، ثم توالت سبل الاتصال بالغرب بعد ذلك عن طريق : البعثات الدراسية، والاستشراق، ، وكذلك ظهور الصحافة، والترجمة، ومن الأسباب كذلك :المعاجم والمجامع اللغوية.. ثم السعي للاتصال بماضينا الحضاري العريق

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عن طريق الوعي القومي وإحساس المصلحين بما أصاب اللغة والمجتمع من ضعف فدفعهم هذا إلى نشر ذخائر من التراث الفكري واللغوي والأدبي، وإلى تيسير الاتصال بها ولا سيما بعد انتشار المطابع العربية.

وقد اهتم الأدباء في بلاد الشام منذ مستهل القرن التاسع عشر اهتمامًا قويًا باللغة وآدابها، ورأينا النهضة تتجه وجهة أدبية منذ ظهورها، بفضل الإرساليات التبشيرية، وما أثارته من جدل ديني وترجمات للكتب المقدسة على أن التخلص من الأسلوب الموروث في النثر لم يكن هينًا، ورأينا مباهاة الأدباء تظهر في محاكاتهم لأسلوب المقامات فنسجوا على منوالها واعتبروا هذا الأسلوب مجتلى فخارهم بمعرفة ذخائر اللغة وغريبها، وقدرتهم الفائقة على محاكاة الحريري، والقاضي الفاضل والسيوطي في أسجاعهم.

من ألوان النثر التي ظهرت في هذه الحقبة هو النثر الأدبي، وقد تناول في القرن التاسع عشر موضوعات جديدة كانت من قبل وقفًا على الشعر، فتتناول بقلم الأديب وصف البؤس، والفقر والحرب ، وشتى ألوان العواطف، كما ظل سائدًا في الرسائل الإخوانية من تهنئة، وتعزية ورجاء وشفاعة ودعوة واعتذار، وغير ذلك، وظهر في وصف بعض الرحلات والأماكن المشهورة، وهذا النثر يحتاج فيه الكاتب إلى التأنق في عبارته، وتخير ألفاظه، والاهتمام في الآذان؛ لأن الغاية التي يتوخاها الأديب هي نقل الأثر الذي يحس به في نفسه إلى سواه، وهذه من العوامل التي تساعد على الوصول إلى هذه الغاية[1] .

ويقتضي التأنق في اللفظ، وجودة السبك، وتفتيق المعاني، معرفة بأسرار اللغة، ووفرة المفردات، وخبرة بالكلام الجيد أو استظهار كثير من المنثور والمنظور، هذا إلى طبيعة مواتية، وحس مرهف، وذوق رقيق، وفطنة إلى مواطن الجمال.

ومن مظاهر تطوُّر النثر العربي بشكل عام وفي سورية بشكل خاص ظهور أنواع سردية جديدة: القصة القصيرة، الرواية، السيرة الذاتية، المقالة:

[1] كتاب: " نشأة النثر الحديث وتطوره "/ عمر الدسوقي / دار الفكر العربي /الطبعة: ٢٠٠٧م صفحة 97

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وقد انبثقت هذه الأجناس السرديّة الحديثة من خضمّ التفاعلات بين الرصيد السرديّ التقليديّ، والمؤثّرات الثقافيّة الجديدة، حيث وقع انفصال متدرّج، منذ القرن التاسع عشر، وبدت ظواهر إبداعية جديدة راحت تتصل بنسق مستحدث من القيم الجمالية، ، وكان من نتيجة ذلك أن انحسرت صيغ التعبير القديمة، وتراجعت قيمة المنظورات التقليديّة؛ وبدأت تترسخ أجناس سردية جديدة أبرزت قدرة هائلة على التفاعل مع تحولات العالم الجديد بمكوّناته وعلاقاته وقيمه، واقترنت به من جهة كونها نتاج إحدى تمخضاته، ومن جهة كونها علامة معبّرة عنه، من هذه الأجناس: القصة القصيرة، الرواية، السيرة الذاتية، المقالة.

لابد من الإشارة في البدء إلى أن التشكل السياسي لسورية على أنها دولة إنما كان في القرن العشرين، مما يجعل الحديث عن الأدب فيها مرتهناً بهذا الزمن، مع تمهيد يكشف بعض الظواهر الأدبية البارزة خلال العصور الماضية لما يُعرف ببلاد الشام.

أما في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين فقد حدثت تحولات كبيرة أدَّت إلى دخول أجناس أدبية جديدة، نتيجة لعوامل متعددة مثل الطباعة التي أتاحت انتشار الكتب بين الناس وطبع الأعمال الأدبية المتنوعة، والصحافة التي نشرت معظم الأعمال على صفحاتها قبل أن تصدر في كتب، ووضَّحت مفاهيم الأدب، وأبرزت أعلامه، وساعدت على كتابة النقد حوله، وقد تخصصت دوريات عديدة في الأدب والنقد مثل مجلة : " الأديب "[1]، و" الثقافة[2]"()، و" المعرفة "([3])، و" الموقف الأدبي"([4])، وغيرها كثير .

وأسهم انتشار التعليم في الاهتمام بالأدب إضافة إلى الترجمة مما سهّل دخول أجناس أدبية جديدة، سعت إلى مواكبة تطورات المجتمع المتسارعة في سورية، وترافق ذلك مع إحياء التراث ونشره محققاً، ومحاولة الاستفادة منه في أعمال أدبية كثيرة، وقد أذكت حركة النضال ضد المستعمر كثيراً من الموضوعات التي كتب فيها الأدباء نصوصاً

[1] " الأديب "رئيس التحرير: ألبير أديب تاريخ الإصدار:1942 إلى 1983 / لبنان

[2]–) الثقافة :رئيس تحريرها خليل مردم تاريخ الإصدار 1933 إلى 1934

2009)

[3] ()المعرفة : رئيس تحريرها فؤاد الشايب تاريخ الإصدار1962 إلى 2016

[4] الموقف الأدبي : رئيس تحريرها علي عقلة عرسان تاريخ الإصدار 1971 إلى

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

شعرية ونثرية، وكان للأحزاب والتكتلات دورها في إثراء الحركة الأدبية من خلال تشجيعها الأدباء والاهتمام بالثقافة. وقد برز في هذه المرحلة عدد كبير من الشعراء والأدباء أمثال: **فخري البارودي، وشفيق جبري، وعبد الله يوركي حلاق، وبديع حقي ، ومحمد البزم، ومحمد الفراتي، وخليل مردم بك، وبدوي الجبل،**
وأنور العطار، وعمر أبو ريشة، وخير الدين الزركلي، ووجيه البارودي، ونزار قباني، وسليمان العيسى.

ولا شك بأن الوضع السياسي في الثلث الثاني من القرن العشرين ورحيل المستعمر بعد ذلك قد أسهم في إذكاء حركة أدبية تتميز بشيء من الخصوصية، على أنها تنضوي تحت مظلة الأدب العربي المعاصر. وظهرت مؤسسات ثقافية أسهمت في تنشيط الحركة الأدبية مثل وزارة الثقافة، واتحاد الكتاب العرب بجمعياته المتعددة، وغيرهما.

وتجلت حركة الأدب في سورية في العصر الحديث من خلال مجموعة من الأجناس الأدبية والظواهر الفنية؛ ومن أهمها :

الرواية:

تعريف الرواية : تعرّف الرواية بأنّها فن أدبي نثري طويل يعتمد في أساسه على الخيال، وهو نسيج تترابط فيه مجموعة من العناصر فيما بينها وفقاً لعلاقات معيّنة، وتسير ضمن تسلسل أحداث مدروس لوصف تجربة إنسانية ضمن إطار من التشويق والإثارة تعكسه مجموعة من الشخصيات، في بيئة معيّنة.

ولو أردنا أن نتحدث عن نشأة وتاريخ الرواية السورية وجدنا أن القطر السوري أقل حظا من لبنان ومصر في هذا المجال، فلم تتوفر للسوريين في ذلك الوقت تلك الظروف التي توفرت للبنانيين والمصريين على الصعيد السياسي والأدبي. ففي لبنان كان للبعثات التبشيرية دور هام في إطلاع اللبنانيين على الأدب الغربي. أما بُعد مصر عن مركز السلطنة العثمانية فقد ساعدها في الحصول على شبه استقلال، فانعكس ذلك بصورة إيجابية على نواحي عدة؛ أدبية،

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

اجتماعية وسياسية. وقد استفاد السوريون من هذين القطرين في هذا المجال كثيرا بسبب النهضة الأدبية التي شهدها القطران الآخران، إضافة إلى افتقار سوريا إلى المترجمين والمطلعين على اللغات[1] الأجنبية في تلك الفترة[2].

وهناك من يؤكّد أن **فرنسيس مراش** [3] هو رائد الرواية السورية؛ إذ كان قد أصدر روايته "**غابة الحق في تفصيل الأخلاق الفاضلة وأضدادها**" عام 1865م، المفتقدة لأسس مقومات الرواية الفنية، وكتب "مرآة الحسناء" وقبلها حكاية "در الصدف في غرائب الصدف"، متأثّراً بحكايات ألف ليلة وليلة على المستوى السرديّ منذ 1872، وضمّنها إعجابه بالثورة الفرنسية وباريس التي زارها، وكتب عنها في (رحلتي إلى باريس)، فأظهر افتتانه بالثقافة الأوروبية، رافضاً الجهل المنتشر في سوريا حينذاك. ثم جاءت رواية (أمراض العصر الجديد) لـ رفيق رزق سلوم [4] التي أصدرها 1909 وعدّت أكثر فنيّة من روايتي مراش، كما أنّ موضوعها الرئيس هو نقد العادات والتّقاليد البالية عبر تصويره شخصيات تنامى فعلها مع الأحداث الدرامية التي عالجها في متن روايته. وقد أعدم رفيق رزق في دمشق بأمر من الحاكم العسكري العثماني جمال باشا.

ولا بد من ذكر النشاط الحكائي التمثيلي في سوريا عن طريق حرفة الحكواتي الذي كان يتصدر المقهى الشعبي، ويروي للحضور قصصاً شعبية كحكاية الزير سالم وعنترة والظاهر بيبرس... وقد تميّزت مدينة دمشق بهذه الحرفة.

وهناك من يعدّ رواية **شكيب الجابري**(1) **(نهم)** رومانسية الطابع التي صدرت إبان الحرب العالمية الثانية، في العام (1937)، وهي الرواية الأولى لما امتلكه الجابري من أدوات حديثة في السرد وتقنيات فنية ولغة روائية متماسكة،

---

[1] – كتاب " فنون الأدب المعاصر" / عمر الدقاق/ دار الشرق العربي – بيروت / صفحة : 109 – 113

[2] – (1) فرنسيس بن فتح الله بن نصر الله مرّاش (1836–1873)، المعروف أيضاً باسم فرنسيس المرّاش أو فرنسيس مرّاش الحلبي، هو أحد كتاب وشعراء النهضة العربية من الشوام الحلبيين، بالإضافة إلى كونه طبيباً

[3] (1) رفيق رزق سلّوم (1891–1916)، محامٍ وشاعر سوري من مدينة حمص ، كان معارضاً للدولة العثمانية وأُعدم في دمشق بأمر من الحاكم العسكري جمال باشا يوم 6 أيار 1916

[4] شكيب الجابري (1912 . 1996) شكيب بن مراد بن عبد القادر لطفي الجابري الحسني، أديب قصصي ومهندس في الكيمياء والمعادن ودكتور في العلوم الفيزيائية. ولد الجابري في حلب ، وأرسله أبوه مع إخوته إلى بيروت للدراسة في الكلية الإسلامية ثم الكلية العلمانية الفرنسية، فالجامعة الوطنية في عاليه، /الموسوعة العربية / المجلد : المجلد السابع/ رقم الصفحة ضمن المجلد : 398

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وعلى الرغم من تزامن صدورها مع أحداث خطيرة في تاريخ سوريا؛ إذ حدث سلخ لواء إسكندرون، وقامت ثورة عز الدين القسام السوري في فلسطين، إلّا أنّ أحداثها وقعت في ألمانيا وشخصياتها ألمانية؛ نتيجة خوف مؤلفها من شيوخ الدين المتعصبين من جهة، وانبهاره بالحضارة الأوروبية من جهة أخرى، ويرى الكثير من النقاد والباحثين أن رواية "نهم" لصاحبها "شكيب الجابري" هي أول رواية سورية استكملت الشروط الفنيّة الخاصة بهذا الجنس الأدبي، ومنها كانت بداية النهضة للرواية السورية.

والرواية تقع في مئتي صفحة ويدور زمنها بثمانية عشر يوماً، وقد أرادها "الجابري" وسيلة لجلب الأنظار إليه كما قال، وكان له ذلك، فقد أعيد طبع الرواية مرة ثانية بعد شهر ونصف، وقامت حولها ضجة كبرى في صحف سورية ولبنان ومصر، واختلف الناس فيها، منهم من وصف صاحبها بالفجور، ومنهم من حفظها كلمة كلمة، كأنها قصيدة شعر، ووصفها "طه حسين" قائلاً: ما كنت أنتظر أن يكتب مثلها في العالم العربي قبل خمس عشرة سنة».

ومن الملفت للنظر أن رواية **شكيب الجابري** "**نهم**" اعتبرها الدارسون الرواية الفنية الرومانسية الأولى في سوريا. حيث تدور أحداثها في ألمانيا وكل أبطالها هم ألمان، تبدأ الرواية بسبع رسائل موجهة إلى "إيفان كوزاروف" من "إيفلين" وغرتيل" و"هيرتاه" وغيرهن من الفتيات اللواتي يقصدن حبه ويعاتبنه في حبه، و"إيفان" هذا قبل سنين كان فتى مهملاً وخجولاً لا يعتقد أن له أي حظوة لدى النساء، وتنتهي الرواية بعيداً عن "برلين" وعن جو القصة في "اسبانيا" أيام الحرب الأهلية. لقد وضع "الجابري" شخصيته ضمن سبع مرايا مختلفة أو وجهات نظر مختلفة فأعطاها أبعادها الكاملة، مصوراً تطوع "كوزاروف" في الثورة الإسبانية كهروب من الضعف الذاتي الخاص في هذه الشخصية، وليست شخصية "كوزاروف" بعيدة عن شخصية "الجابري" نفسه، وأحسبه اختار الاسم ليعطي روايته طابع القصص الأوروبية العظيمة كما يقول الأديب "شاكر مصطفى"

ويرى آخرون ([1]) «أنه يمكن اعتبار "**نهم**" رواية غربية كتبت بالعربية، إذ يسيطر عليها العنصر الغربي سيطرة كاملة، وهي تدور في جو غربي، وأبطالها

[1] منهم الشاعر والناقد "عمر كوجري"

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أوروبيون، ومفهوم الحب الذي تحاول أن تعالجه أيضاً ملون بلون أوروبي، وتحاول أن تعالج مقولة "غوتة" المشهورة "الانوثة الخالدة تجذبنا إليها" وتتصدر هذه العبارة غلاف الرواية، ولعلها ما يقوي مركز "الجابري" بوصفه رائداً للرواية السورية، أنه استمر في كتابة الرواية الرومانسية في الأدب العربي في "سورية".

أما الشاعرة والناقدة "**نورا محمد علي**" فتربط نشوء الرواية السورية عموماً ورواية "**نهم**" خصوصاً بالأوضاع السائدة وقتذاك حيث تقول: إن متابعتنا لنشوء وتطور القصة في "سورية" سيجعلنا نلاحظ الطريق الموازي لتطور الوعي الاجتماعي والفكري والاقتصادي في "سورية"، ولو شئنا أن نتتبع الخط البياني للقصة والرواية "السورية" لوجدنا أن المجتمع السوري قد تألم في الحرب العالمية الأولى، وماتلاها من أحداث ، ثم تعرض لاستعمار جديد من طراز آخر، وهو الاستعمار الفرنسي، ومع صبر السوريين ومحاولة تلاؤمهم مع الواقع الجديد والمرير مكرهين ومرغمين، ثارت ثورتهم الكبرى سنة 1925 تارة ثم مفاوضات وهدنة تارة أخرى ثم ثورات ومفاوضات، وكان لابد لهم أن يستنجدوا بالتاريخ العربي تعويضاً عن الواقع المؤلم، وكان سبب ظهور القصة التاريخية، وتزعمت البرجوازية الصغيرة في المدن نضال الناس، وأسست بعض المشاريع الصناعية بين 1930 و1936، ودعا الشعب شيئاً فشيئاً نفسه والفروق التي بينه وبين الغرب، وإذا تذكرنا فقط خيبة آمال الناس في المواثيق الفرنسية، الذين قرؤوا مبادىء الثورة الفرنسية دون أن يشهدوا تطبيقها، لعرفنا كيف عبر المجتمع عن أول تحسس لآلامه بشكل رومانسي، كان يبكي ثم هرب إلى التاريخ يستمد منه مبادئ الاعتزاز، ثم اتجه إلى الواقع يعالجه على ضوء المثل الحديثة، والحقيقة أن الدلالة الاجتماعية في القصص لم تكن مقصودة لذاتها فإذا عبرت عن ألم أو يأس أو ثورة أو نقمة مبهمة، فإنما كان ذلك نتيجة صدق الكتّاب وانفعالهم بشكل عفوي أمام تطور مجتمعهم القديم ودخول الآلة والفكر الحديث عليه.

وفي خضم هذا الوسط الاجتماعي والسياسي والأدبي ظهرت للناس فجأة رواية "نهم" وبرز اسم صاحبها "شكيب الجابري"، وقد كتب "الجابري" روايته هذه وكان عمره خمساً وعشرين سنة، ويزعم أنه لجأ إلى تجاربه الشخصية

في تكوين قصصه عندما يقول: "لا أستطيع أن أخرج في رواياتي عن حياتي مهما أخذت، ففي حياتي الواقعية ما يكفي من المادة لتغذية خيالي وأكسل في التفتيش عن مواضيع خارج حياتي. وفيم أفعل؟، عدت إلى "سورية"

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

كسياسي وبدأت أكتب لملء الوقت، كان لي آمال سياسية واجتماعية أريد أن أدعو إليها بقوة، أن أقود وأجند لها الناس، كنت احتاج إلى جمهور فيجب إذاً أن أبدأ بقوة، وما أردت من كتاب "نهم" سوى أن يخلق لي قُرّاء وجمهوراً. كنت أريده قنبلة تهز العالم العربي ليلتفت إلى العدد الاكبر من كل قطر لتؤمن بي النفوس الناشئة فأسير بها في الفكر حيث أرجو".

وإذا أمعنا في هذا القول نستنتج التأثيرات التي ذكرتها واضحة في فكر وكتابة رواية "**نهم**" التي بدورها هزت البلاد العربية بين موافق ومعارض لها، ولكن الجميع يتفق بأن رواية "نهم" بداية النهضة الروائية في "سورية" وربما في الوطن العربي.

ثم أعقبها برواية أخرى بعنوان "**قدر يلهو**" (1939)، بطلها طالب طب سوري يعيش في برلين يرتبط بعلاقة حب مع فتاة ألمانية باسم "**إلسا**"، وهي قصة ذات ملامح رومانسية أوروبية. تتميز الرواية بلغتها الكلاسيكية المعقدة وتعتمد كثيرا على المحسنات البديعية والاستعارات. ثم كتب الجابري **(قوس قزح)**، و**(وداعًا يا أفاميا)**.

وقد واجهت الرواية العربية في بداياتها معارضة شديدة في كل من مصر وبلاد الشام، على حد سواء، وذلك لأسباب عدة، منها ما هو أخلاقي يتنافى مع مفاهيم المجتمعات المحافظة في العالم العربي، ومنها ما هو أدبي محض، إذ اعتبرت لغة القصة والرواية لغة غير أدبية بالمفهوم الكلاسيكي للغة. فكان على الروائي أن يبحث عن لغة روائية سردية حديثة تتماشى مع أصول القصص الحديث، ولم يكن ذلك بالأمر السهل في بداياته، فتعثرت الرواية في مسيرتها الأولى وجافت المعايير الفنية اللازمة.

ولقد تأثر الجابري بأجواء الحرية، خلال فترة إقامته في باريس، وبتعاليم الثورة الفرنسية التي تفتقر إليها بلاده؛ لذلك جاءت روايته على شكل حلم يتنقل فيه الراوي بين ممالك العالم المختلفة فيرى الخير والشر، يعود بعد هذه الجولة في عالم الأحلام إلى مدينته حلب التي يراها أجمل ما في الكون، فيتمنى لها أن تعيش في ظل العدل والرفاهية.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لم يتمخض عن هذه الفترة ما يمكن أن يطلق عليه الرواية العربية السورية، إذ يرى عدد من الباحثين بأن "القصة الحديثة، ولدت مع ولادة المجتمع السوري الحديث. وتأثرت قدر تأثره بالحضارة الغربية ومثلها الفكرية والاجتماعية. إنها في القالب الفني وفي المحتوى، وفي الدلالة الاجتماعية على السواء شيء جديد. ولم يكن بإمكان التراث القديم، على ما فيه من روعة وطرافة وأصالة، أن يرضي حاجات البرجوازية الجديدة النامية أو يتلاءم معها"([1]).

إننا نميل إلى الاعتقاد بأن أصحاب الفكر المحافظ هم الأكثر ديناميكية وتأثيرا في لجم الفكر الحديث، وهو ما دفع شكيب الجابري، على سبيل المثال، إلى اختيار أسماء أجنبية وخلفية أجنبية لروايتيه الأولى والثانية. هذا الأمر لا يحجب عنا الجانب الآخر وهو مدى التأثير الأجنبي في كتابات بعض الطلائعيين من أمثال الجابري والمراش وغيرهما. هذا التخبط بين التشدد والانفتاح والحذر من الحالتين كان له بالغ الأثر على كل الإبداع العربي في جميع مجالاته، وهي عملية مخاض مرت بها الحركة الأدبية الحديثة حتى تمكن الكتاب الطلائعيون من اختراق ما كان مألوفا من قبل.

لا شك أن للأحداث السياسية دورها الفاعل في التأثير على كل مناحي الحياة الفكرية، وأن الرواية والقصة والأدب عامة تتجاوب مع الحدث السياسي والتحولات الاجتماعية، خاصة إذا كانت هذه الأحداث دراماتيكية، كما هو الأمر في سنوات الثلاثين من القرن العشرين، إذ شعر السوريون أن دولتهم قاب قوسين أو أدنى. هذا العامل السياسي هو نفسه الذي كان الدافع للحركة الأدبية النشطة في أعقاب هزيمة حرب حزيران سنة 1967 في مرحلة لاحقة. ثم يجب ألا ننسى أو نتناسى أن الاحتكاك

الفعلي ما بين سوريا والغرب كان في أعقاب الانتداب الفرنسي وما ولده ذلك الاحتكاك من ترجمات وما ولدته هذه الترجمات من تحفيز وإثارة وتقليد، لتتلوها فيما بعد مرحلة جديدة حين وثق الروائيون أكثر بذاتهم وقدراتهم وتراثهم الغني فعادوا إلى الجذور لخلق ما هو جديد يتناسب مع الواقع الحديث بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

[1] (1) كتاب " الرواية العربية، النشأة والتحول " محسن الموسوي . ط2. دار الآداب– بيروت: (1988) صفحة 23

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ظلت الرومانسية هي الإطار الغالب على الرواية السورية، حتى سيطر التيار الواقعي سيطرة شبه تامة على الرواية السورية في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وذلك بتأثير الاستقلال، وما شهدته سورية من انقلابات في الخمسينيات وتوجه النظام نحو النظام الاشتراكي وتوزيع الأراضي على الفلاحين، والتأميم، إضافة إلى تأثير الرواية المصرية التي كتبت في أعقاب ثورة يوليو1952 في مصر، حيث استقبلت هذه الكتابات بحفاوة في سورية. كما يشار إلى المؤثرات الأجنبية كالفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية، وترجمة الروايات من اللغة الروسية([1]).

وقد نهض بهذا الجنس الأدبي أعلام كثر منهم: حنا مينة، ونبيل سليمان، وعبد النبي حجازي وعبد السلام العجيلي، وفارس زرزور، ووليد إخلاصي، وأحمد يوسف داوود، وهاني الراهب، وغادة السمان، ونادیا خوست، وخليل النعيمي، وحيدر حيدر وغيرهم.

ولكي تنشأ رواية سورية أصيلة، تصور شخصيات وأماكن سورية كان لا بد أن ننتظر – كما يقول الدكتور **محمد مصـــطفى بدوي** ([2]) – **الكاتب حنا** ([3]) مينة وأولى رواياته :
"**المصابيح الزرق**" (1954).

---

[1] (1) كتاب " بانوراما الرواية العربية" / سيد حامد نساج . مكتبة غريب – القاهرة / صفحة: 213-214)

[2] محمد مصطفى بدوي (1343هـ / 1925م – 1433هـ / 2012م) أديب وأستاذ جامعي مصري بريطاني تخرج في كلية الآداب من جامعة الإسكندرية سنة 1365هـ الموافقة لسنة 1946م ، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة لندن سنة 1373هـ الموافقة لسنة 1954م ، وقد عمل في مجال التدريس الجامعي في جامعة أكسفورد البريطانية منذ سنة 1385هـ الموافقة لسنة 1964م حتى تقاعده سنة 1412هـ الموافقة لسنة 1992م.

[3] حنا مينه (9 آذار 1924 – 21 آب 2018)، روائي سوري ولد في مدينة اللاذقية. والدته اسمها مريانا ميخائيل زكور، ساهم في تأسيس رابطة الكتاب السوريين واتحاد الكتاب العرب. ويُعد حنا مينه أحد كبار كتاب الرواية العربية.[3] وتتميز رواياته بالواقعية،[4] ألّف نحو 40 رواية اجتماعية، من أبرزها (المصابيح الزرق) التي تحولت إلى مسلسل بنفس الاسم، ورواية (نهاية رجل شجاع) التي تحولت هي الأخرى إلى مسلسل سوري.[حصدت أعمال مينه جوائز عديدة منها جائزة سلطان العويس عن مجمل أعماله الأدبية،[4] وجائزة المجلس الأعلى للثقافة والآداب والعلوم بدمشق عن رواية «الشراع والعاصفة»، وجائزة المجلس الثقافي لجنوب إيطاليا عن رواية "الشراع والعاصفة" عام 1993م بصفتها أفضل رواية ترجمت إلى الإيطالية، وعلى وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة. من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

"وقد رافق هذه الرواية ضجيج ثقافي قادته الأصوات اليسارية، وما زالت أصداؤه تتردد في الدراسات الأدبية التي تتحدث عن "المصابيح الزرق" خاصة والاتجاه الواقعي عامة"([1]).

يلاحظ الدارس ما لهذه الرواية من أهمية في تاريخ الرواية السورية، إذ لم يستطع أي من الدارسين ان يتنكر لها، أو يتغاضى عن الدور الهام الذي لعبته هذه الرواية، فتسارعت أقلام النقاد والدارسين في مصر بالذات إلى دراستها والتنبيه إلى مولود جديد معافى، بالرغم من بعض عيوبه الفنية.

"**المصابيح الزرق** " رواية تصور حياة جماعة من الناس البسطاء أيام الحرب العالمية الثانية، ومن ورائها المجتمع في مدينة اللاذقية، وسوريا عموما، وكيف أنه في فترة الحرب يتم طلاء المصابيح باللون الأزرق لتوحي بمنظر المنائر (جمع منارة) البعيدة المحاطة بالضباب. ونستعرض ذلك من بطل الرواية فارس وتطور شخصيته من طفل إلى رجل بالغ. وقد تجاوز الروائي فكرة "أثر الحرب في الناس"، إلى تصوير حياة كاملة تلعب فيها أزمة الحرب دوراً كبيراً، ولكن الدور الأكبر هو لمجموعة هؤلاء الناس الذين يضطربون في حياتهم اليومية، وكيف يعامل بعضهم بعضا، وكيف يكافحون ويكدحون في سبيل العيش، وكيف ترتبط مصالحهم الخاصة بقضايا أمتهم، وكيف يفهمون النضال. وعلى الرغم من أن الرواية تبدأ وتنتهي بفارس إلا أنه ليس بطلها الوحيد، ففي الدار الكبيرة تعيش مجموعة من العائلات الفقيرة، فهناك أم صقر المرأة العجوز التي تخدم في البيوت، وابنها الشاب العاطل عن العمل، ومريم السوداء، وزوجها نايف الملقب بالفحل، وهما قصة بمفردهما.

وقد قدمت الرواية في مسلسل تلفزيوني سوري، وترجمت إلى الروسية والصينية.

وكذلك رواية " **حكاية بحار**" تسرد حكاية (**سعيد حزوم**) الرجل الذي ولد لبحار مغامر هو (**صالح حزوم**) والذي كان يمثل قمة الرجولة وحب المغامرة ، والنضال ليس لدى سعيد فحسب بل لدى كل الذين خبروا البحر وعرفوا تحولاته . الرواية تأخذنا مع البطل ومحاولاته لأن يكون صورة من والده الذي اختفى في ظروف غامضة ،

[1] كتاب :" التطور الفني للاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية " / سمر روحي الفيصل / دار النفائس: بيروت:1996 صفحة : 92

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتصور الأحداث التخبط والصراع الذي يواجهه البطل في سبيل أن يكون هو ذاته امتداداً لحياة وبطولات والده ، لا مجرد شخص يعيش في ظل سيرة والده المعروفة . ولعل أجمل ما في الرواية هو معايشة القارئ وتحمسه لمحاولات سعيد الدؤوبة نحو تحقيق البطولة والتفرد .

ونجد ذلك عند الدكتور : **عبد السلام العجيلي** [1] الذي نال اهتمام الأوساط الأدبية بنتاجه ودراساته في القصة والرواية والنقد . وقد أغنى تجاربه وخبراته انخراطه في العمل السياسي ، وأسفاره ومشاركاته في التظاهرات الثقافية العربية والدولية وإتقانه اللغة الفرنسية وقراءته الواسعة للتراث والأدب المترجم، فهو رائد من الرواد الذين ذللوا الطريق لأجيال من المبدعين في مجال القصة العربية في فترة الثلاثينيات، وهو كثير الاهتمام في قصصه بالإنسان

الذي يعده عالما قائما بذاته، قادرا على تجاوز القوانين المادية التي تحكم الكون إلى آفاق وتطلعات تمنح الحياة معناها[2].

ورواية " **قلوب على الاسلاك** " ضمن قائمة أفضل 105 رواية عربية هذه أفضل روايات الروائي الطبيب عبد السلام العجيلي، وقد اختارها اتحاد الكتاب العرب لتكون من بين أفضل مئة رواية في تاريخ الأدب العربي. وهذه النسخة هي الطبعة الثانية المنشورة سنة 1990م – دار الشرق العربي (بيروت) . تدور الرواية عن الحب، الشاغل الأكبر للكبار والصغار. بطل الرواية يتحدث عن علاقته بأربع نساء عرفهن في دمشق ..واحدة قادته للحب على طريقتها، والثانية قدمت له قلبها في تفتحه الأول فهرب منها، والثالثة كانت شخصيتها أقوى منه وحاول أن يستهويها لكنها فضلت عمه الثري عليه! والرابعة أحبها ولم يجرؤ على البوح بحبه لها. ورواية عبد السلام العجيلي هذه ليست مجرد غراميات شاب فقط وإنما هي أيضاً قصة سنين مضطربة عصفت بالبلاد في مهب تيارات اجتماعية وسياسية

[1] العجيلي : عبد السلام العجيلي ولد في الرقة عام 1918، ودرس فيها وفي حلب، وجامعة دمشق، وتخرج فيها طبيبا عام 1945.
انتخب نائباً عن الرقة عام 1947. وتولى عدة مناصب وزارية في وزارة الثقافة والخارجية والإعلام عام 1962. يعد أحد أهم أعلام القصة والرواية في سوريا والعالم العربي، وقد أصدر أول مجموعاته القصصية عام 1948 بعنوان بنت الساحرة. كتب العجيلي القصة والرواية والشعر والمقالة وظل طوال حياته يمارس مهنة الطب في عيادته بالرقة.
أصدر بين عام 1948 و2005 واحداً وأربعين كتاباً خلال سبعة وخمسين عاماً .

[2] كتاب :" عبد السلام العجيلي مبدع نبضات القصة والرواية " / عبد السلام أرناؤوط الهيئة العامة السورية للكتاب 2021

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فاصلة. وغني عن القول إن الروائي الطبيب يمتاز بأسلوب جميل سهل وأجاد التحليق به في هذه الرواية التي احتلت مكاناً مرموقاً في عالم الأدب.

ونظراً لطبيعة جنس الرواية وما يتيحه للروائي؛ فإن الروائيين السوريين عالجوا من خلاله قضايا كبيرة شائكة؛ ليقدموا في رواياتهم وجهات نظر متعدّدة في مواضيع تبدو في ظاهرها بسيطة، من ذلك ما يتعلق ببناء سد الفرات مثلاً، وحرب تشرين، والسجن، والريف والمدينة والبحر، والوحدة العربية، ونكسة حزيران، ومقاومة المستعمر.

وبدا أنَّ الواقعية هي الأبرز حضوراً في تاريخ الرواية السورية؛ سواء أكانت انطباعية **(فارس زرزور)** أم انتقادية **(عبد النبي حجازي وخيري الذهبي وهاني الراهب)** ....

وعبرت الرواية السورية عن هموم عدة تمكَّنت من تقديم تأريخ غير رسمي لحركة المجتمع وصراعاته المتتالية: السياسية والاجتماعية والفكرية، مستفيدة من إمكانية إعادة قراءة الماضي ونقده وتعرية الواقع المكتظ بالتحولات والتغيرات المتلاحقة.

كما نحتِ الرواية في العقد الأخير من القرن العشرين منحىً جديداً؛ إذ برزت أسماء كثيرة راحت تتناول قضايانا بطرق فنية غير مألوفة، مستفيدةً من احتكاكها بالمنجز العربي والعالمي، وصرنا نجد رواية مفتوحة الدلالات، فيها رواة عديدون للحدث الواحد، تشغلها الرؤية السردية الناظمة للعمل، وبرزت أسماء عدد من الروائيين مثل: فواز حداد، ونهاد سيريس، ومحمد أبو معتوق، وممدوح عزام، وعلي عبد الله سعيد، وخليل الرز، وعبد العزيز الموسى.

وكان للروائيات السوريات نصيب في إسهامهن برسم معالم خارطة السرد السورية، ومنهن: **وداد سكاكيني** (1913 – 1991) كتبت رواية (أروى بنت الخطوب) 1946، و(بين النيل والنخيل) 1947، و(الحب المحرم) 1947.

وكوليت خوري ،وروايتها (أيام معه)1959، ورواية : (ليلة واحدة) 1961 ، ورواية : (ومر صيف)1975 ورواية : (أيام مع الأيام)1978-. والكاتبة **وقمر كيلاني** (1932 – 2011) ومن رواياتها: (أيام مغربية)

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
30/08/2024
المجلد الثاني

1965، و(بستان الكرز) 1977، و(الهودج) 1979، (حب وحرب) 1982. والكاتبة **أمل جراح** (1945 – 2004م)، كتبت رواية (الرواية الملعونة) 1967.

و تعاونت الرواية مع فنون بصرية عديدة إذ حوّل كثير منها إلى مسلسلات تلفزيونية و أفلام سينمائية في محاولة لمواكبة العصر والوصول إلى شريحة أوسع من الناس، مستفيدة من الإمكانات الفنية والإعلامية.

ومن الملاحظ ارتباط نشاط السرد الروائي السوري منذ أواخر خمسينيات القرن الماضي –غالبًا– بزيف الدولة الشمولية وفسادها، وازداد الأمر سوءاً منذ مطلع السبعينيات؛ إذ انعكست سياسة السلطة الطائفية على سلوك القيّمين على مؤسساتها الثقافية الموجّهة، ومن ثمّ قيّدت شروط الكتابة الإبداعية وفق عقلية الفروع الأمنية وشروطها، لا سيّما تلك السرديات المنتجة –في أكناف مؤسسات السلطة– من قبل روائيين وأدباء موظّفين في تلك المؤسسات، التي أضحت منغمسة ببؤر فساد السلطة كمؤسسات الإعلام والنقابات والأحزاب والاتحادات المهنية.

القصة :

تعريف القصــة : هي حادثة أو مجموعة حوادث يرويها كاتب بأسـلوب فني ([1])...أي أنها سـرد نثري لأحداث أو حكاية مكتوبة مستمدة من الواقع أو الخيال أو من الاثنين معاً تؤديها شخصيات ضمن بيئة زمانية ومكانية.

والفن القصصي قائم على السرد والتفصيل والتحليل والرواية .

والقصة بمفهومها المعاصر هي تسجيل لما يحدث في فترة معينة من الفترات، سواء أكانت أحداثاً كثيرةً أم كانت حدثاً واحداً، وتكون هذه الأحداث قد تركت أثراً في نفس الكاتب؛ الأمر الذي دفعه إلى كتابتها، وقد تكون هذه الأحداث واقعةً خلال فترة طويلة فتشكل ما يسمى بالرواية، أو فترة زمنية متوسطة فتشكل ما يسمى بالقصة، أو تكون الفترة قصيرة فتشكل ما يسمى بالقصة القصيرة (الأقصوصة). وللقصص نوعان؛ منها ما هو خيالي ومنها ما هو حقيقي.

وأهم عناصر القصة : الحدث ، والشخصيات ، والزمان والمكان والحبكة ([2]).

[1] -كتاب " الأدب العربي الحديث مختارات من الشعر والنثر" د.طالب خليف السلطاني صفحة 110
[2] المرجع السابق صفحة 114

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ولقد لقي هذا الفن – فن كتابة القصة –إقبالا كبيرا من القراء والأدباء على السواء لعدة أسباب:

1. تأثر الأدباء بهذا الفن بعد اطلاعهم على القصص الغربي بمواضيعه المتنوعة.
2. اهتمام الصحافة بالقصة خاصة في طور الترجمة .
3. مجال القصة أوسع وأرحب للتعبير عن حياة الشعب وتطلعاته.
4. القصة أقدر على معالجة المظاهر التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تعج بها الحياة العربية في مطلع العصر الحديث.

5- كذلك الدور التثقيفي الهام الذي لعبته القصة في توعية الشعوب وتوجيهها.

وقد مر فن القصة بثلاث مراحل أساسية منذ النشأة : مرحلة الترجمة : مرحلة المحاكاة و الاقتباس – مرحلة الإبداع والتأليف.

و القصة القصيرة في سورية خاضت مخاضاً صعباً حتى تبلورت في صيغة فنية تمكنت من الموازنة بين أسسها الفنية واحتياجات المجتمع، ويكاد يجمع النقاد على أن أول مجموعة قصصية حملت بذوراً فنية تؤهلها لتكون قصصاً قصيرة هي: **(ربيع وخريف) لعلي خلقي** (1931) ، وهي "أول مجموعة قصص ذات مستوى فني جعلت منه رائد القصة القصيرة في سورية، واستطاع مبكراً أن يعالج قضايا إنسانية متعددة في مناخها الاجتماعي، وأبعادها الفكرية ضمن صوغ قصصي متخيل، ومبتكر حرص على الواقعية والتحليل النفسي، واللغة القصصية".

ومهما يكن من أمر صواب ذلك التحديد في نشأة الفنّ القصصي في سورية، فإنّ تلك المجموعة لم تسلم من غلبة الحكائي على الفنّي فيها، ومن أنّ معظم نصوصها لم يتجاوز كونه وسائل سردية للتعبير عن قضايا اجتماعية ضاغطة، ومن انشغال مقاصد القاص فيها بمهام تنويرية / وعظية على نحو يكاد يكون مباشراً.

وتواتر بعد ذلك صدور المجموعات القصصية، فأصدر "**محمد النجار**" مجموعته اليتيمة: "**في قصور دمشق**" عام 1937م، التي لم تتجاوز كثيراً ما بدا في مجموعة "خلقي" من سمات وعظية / تنويرية على حساب ما هو فنّي. ولعلّه من الصواب القول إنّ معظم النتاج القصصي الصادر حتى بداية عقد الخمسينيات كان "أقرب إلى المحاولة البدائية منه إلى الإنتاج الآسر الكامل فالغرض الفني لم يكن قد فهم أو ذاب على الأقلام بعد وقوام القصة سلسلة من الحوادث والمقالات لا دراسة الشخصية في تطورها وردود فعلها في الحياة والقصة أقرب إلى الحكاية منها

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إلى أي شيء آخر". بالإضافة إلى هيمنة تقاليد السرد العربيّ القديم، وعلى نحو يكاد ينفي وجود هويةٍ خاصةٍ بذلك النتاج، ولاسيما بسبب ذاك التنازع الحاصل بين روح الحكاية التراثية، والوصف الواقعي، وبين التأثر بالاتجاهات الأجنبية المجددة". ولعلّ من أبرز ما ينتهي المتتبّع لنشأة القصة السورية وتحولاتها إليه هو أنّ كتّاب تلك المرحلة من عمر القصة السورية "انصرفوا عن كتابة القصة القصيرة بعد أن أصدروا مجموعة، أو أكثر، واستغرقتهم مجالات أخرى بعيدة كل البعد عن القصة بخاصة والأدب بعامة.

وكان لعقد الخمسينيات بما كان يضطرم فيه من حراك على غير مستوى: سياسي واجتماعي وتعليمي وثقافي وأدبي دور في تطوّر الفنّ القصصي ، فقد انفتحت أبواب الأدب العربي في سورية لمختلف أنواع المؤثرات، ونتيجةً لحركة التمدن، ونمو التعليم، وازدهار الصحافة، والتطور السياسي وبروز الطبقة الوسطى وعوامل اجتماعية أخرى. وشهدت تلك المرحلة ظهور عدة تيارات أدبية إلى جانب التيار الاتباعي، كالإتباعية الجديدة، والواقعية بامتداداتها، والوجودية بعلامتيها السارترية والقومية، ولجأ بعض الكتّاب إلى التاريخ العربي الإسلامي يستوحي منه موضوعاته من المعارك والفتوحات ظناً منه أن النضال القومي إنّما يجب أن يتم تحت عباءة الوعي الديني أو القوميّ، وكانت الواقعية الاشتراكية التيار الأبرز حضوراً في تلك المرحلة بوصفها "جوهر الحياة كما يمارسها بشر أحياء يناضلون في سبيل التغيير نحو الأفضل والأجمل".

وبالإضافة إلى ذلك نشأت تجمعات أدبية يملأ أعضاؤها الأمل في توظيف الأدب في خدمة الإنسان والمجتمع، وكان من أولى تلك التجمعات "رابطة الكتاب السوريين"، "التي أعلنت عن نفسها في تشرين الثاني عام1951، وعدلت اسمها بعد ذلك تعبيراً عن امتداد تأثيرها إلى الأقطار العربية المجاورة، فأصبحت عام1954م "رابطة الكتاب العرب"، التي أوضح كتّابها في بيانهم الأول أنهم تقدميون، واشتراكيون، وملتزمون بقضايا الشعب الكبرى، ومساندون لنضال الكادحين".

كما شهدت الصحافة آنذاك تطوراً ملحوظاً، التي مثلت كعادتها حاضنةً مهمةً للأصوات القصصية الجديدة، وكان لانتشار المجلات الأدبية كالطليعة والآداب والنقاد دور مهم في تطوّر الفنّ القصصي في سورية آنذاك، بالإضافة إلى النوادي الأدبية التي تابعت نشاطاتها صحف ومجلات عدة، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى مجلّة "النقّاد" التي كانت تنشر الأخبار والتقارير عن تلك النشاطات، ولاسيما ما يعني النوادي الثقافية في

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

دمشق، والمدن السورية الرئيسية، والتي كانت تركز بوجه خاص على الإسهام الجديد للعنصر النسائي في تلك النوادي.

وشهدت أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات ظهور أصوات قصصية جديدة مثّلَ عدد منها فيما بعد علامات فارقة في الإبداع القصصي السوري والعربي على حد سواء، أمثال **عبد السلام العجيلي**، **وحسيب كيالي**، **وسعيد حورانية**، **وصميم الشريف**، **وفارس** زرزور، وآخرين. وممّا يمكن الانتهاء إليه من تتبّع لتجربة القصّة السورية في ذينك العقدين أنّ كتّاب تلك المرحلة، ولاسيما كتّاب الخمسينيات" أقبلوا على إثقال كاهل القصة القصيرة بالمضمون الاجتماعي، والسياسي وبالتوجه الفكري، وحاولوا أن يثبتوا أنَها يمكن أن تكون في هذا المجال بالذات أكثر فعاليةً، وتأثيراً من القصيدة الشعرية ذات التاريخ العريق جداً والمتأصل في الأدب العربي" ([1]).

وقد نال الدكتور **عبد السلام العجيلي** اهتمام الأوساط الأدبية، ويعتبر من مؤسسي فن القصة القصيرة العربية. والتأسيس هنا لا يأتي لأنه كتب القصة مبكرًا. بل لأنه جدّد وطوّر فيها مبكرًا، وحررها من تبعيات فنية وزوائد ملحقة بها من فنون أخرى خاصة مثل المقالة الصحفية والخاطرة القصصية والأسلوب الشعري، مما كان يكتب كثيرًا في المرحلة التي أضاءت فيها موهبته الرائدة ؛ لكن المجموعة الأوفر حظاً له كونها أول مجموعة ذات عناصر فنية متكاملة هي **(بنت الساحرة)**([2]) حيث تفرد بإبداعه القصصي المتميز في هذه المجموعة القصصية الأولى التي ظهرت في عام 1948 التي عدّت برأي النقاد والباحثين علامة انعطاف في تاريخ القصة القصيرة في سورية، ومؤشراً لاستواء الاتجاهات التقليدية في إنجاز قصة فنية إتباعية من حيث ضبط المعايير الفنية وعناصر القصة فيما وصلت إليه في الغرب، غير أن تضاعيف قصة العجيلي جاوزت هذه المعايير التقليدية إلى احتواء هذا الفنّ التقاليد السردية العربية من مكونات الإخبار والحكائية إلى استنطاقهما ذلك الخطاب القصصي المشحون برؤى الحياة والقيم الكامنة

[1] كتاب :"القصة القصيرة في سورية- تضاريس وانعطافات"/حسام الخطيب ط1. وزارة الثقافة، دمشق1982. صفحة 89

[2] بنت الساحرة: مجموعة قصص (1948). وهي مجموعته القصصية الأولى، أعدها في عام التخرج وهيأها للطبع. إلا أنه لم ينشرها إلا في أواخر عام 1948، وفيها عشر قصص منها: قطرات دم، انتقام محلول الكينا، بنت الساحرة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

في أشكال المحاكاة، والشخصيات الواقعية المنتزعة من قلب الحياة، دون أن يغفل تحديد الزمان والمكان ، والمغزى العام..

تتألف هذه المجموعة القصصية من عشر قصص ، حيث تبدأ معظم هذه القصص في الزمن الماضي، على لسان الطبيب العجيلي نفسه، الذي انتحل صفة الراوي، أو البطل، أو الشاهد على الحدث، ومثالنا على ذلك ما أورده في مطلع قصته (**قطرات دم**) : (كنت في سنة.. طبيباً داخلياً في مستشفى المعهد الطبي. ومعنى ذلك أني كنت طالباً وقع عليه الخيار ليصبح ملازما في ذلك المستشفى مدة تبلغ الثلاث سنوات..).

وقد لجأ العجيلي إلى استعراض ثقافته اللغوية أمام قراء مجموعته القصصية الأولى، فاستخدم كلمات قاموسية غير شائعة الاستعمال في حياتنا العامة: (البطن متقفع–آلام جارشة– تلجلج اللسان– امرأة بسيطة – تكأكأ..).

ومما يلاحظ أن الكاتب كان يستعين بأقوال مأثورة لحكماء أو شعراء، يضعها في بدايات قصصه، لإنارة الحدث وتسليط الضوء عليه ، لكن العجيلي تخلص من هذا الأسلوب المباشر، في مجموعته القصصية الثانية (**رصيف العذراء السوداء**)، ليبدأ نضوجه الفني الذي أوصله تدريجياً أن يكون ظاهرة ثقافية وإبداعية غنية في حياتنا العربية, بالرغم من الألقاب الفخمة التي أطلقت عليه: البدوي الأخير، فرات الأدب، تشيخوف العرب، حكواتي الرقة، لكنه ظل نسيج وحده ، لا أحد يشبهه في أسلوبه ، وفي ثقافته الموسوعية، التي تفسر لنا بجلاء تنوع نتاجاته الإبداعية، بأسلوب بسيط لا تكلف فيه ولا غموض، وإنما تنساب الأفكار منه كنهر متدفق.

وقد ألقت أحداث الانفصال بظلالها المختلفة على الإيديولوجيا في سورية آنذاك، فلم تعد الواقعية تلقى الاهتمام ذاته الذي شهدته في الخمسينيات، إذ تم إغلاق رابطة الكتاب العرب، وبدأ الهجوم على الاتجاه الواقعي في فن القصة خاصةً والأدب عامةً بوصفه المعادل الأدبي للهجوم الآخر في الحقل السياسي والعقائدي. وفي مقابل انحسار المد الواقعي توسعت الوجودية، كما شهدت مرحلة الستينيات تطوراً ملحوظاً على مستوى الترجمة، ولا سيما ما نهضت به وزارة الثقافة والإرشاد القومي التي "قامت للمرة الأولى في تاريخ سورية الحديث بوضع بعض الخطوط العامة لتنظيم

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الترجمة، كما طورت بالتدريج شبه خطة لتشجيع الكتاب على اختيار كتب أكثر جدية، وبذل مزيد من العناية بمستوى الترجمة" ([1]) .

وتوسعت رقعة التأثيرات الأجنبية، فبرزت آثار "الأدب الأنجلو أمريكي بقوة لم تعهد من قبل في سورية ليأخذ مكانه إلى جانب الأدب الروسي والأدب الفرنسي" ([2]). وفي تلك المرحلة ذاع صيت أصوات قصصية جديدة أمثال: زكريا تامر وغادة السمان وأديب نحوي ووليد إخلاصي وكوليت خوري ووداد سكاكيني وآخرين.

وكانت النزعات الفردية "استغرقت حيزاً واسعاً من نتاج القصة في عقد الستينيات، فضلاً عن المواضيع، والقضايا الأخرى، التي تناولتها القصة في المراحل المتقدمة، وكانت تعبيراً عن طبيعة المؤثرات، والمتغيرات الجديدة في حياة المجتمع السياسية والفكرية والاجتماعية، التي حددت إلى مدى بعيد طابع القصة وإطارها، وساهمت في تطورها الفني والتقني. ومايلفت النظر في قصص تلك المرحلة محاوله القصاصين النأي عما هو إيديولوجي، وتغليب ما هو فني، وبرؤى متعددة أسهمت في فتح آفاق جديدة كانت لها اليد الطولى في انبثاق تقنيات وأساليب فنية جديدة عبر محاولات تجريب فردية بحتة كانت ثمرة آلية تفكير جديدة، ومؤثرات ثقافية متنوعة بدت التقنيات المستحدثة نتيجة طبيعية لها، لأن أي تجديد هو بصورة أو أخرى ثمرة علاقات جديدة، ورؤى مختلفة وهذا ما حدث في هذه المرحلة.

وشكلت هزيمة حزيران مفصلاً في تاريخ الأمة العربية مما جعل من السبعينيات مرحلة أحداث بمنتهى الأهمية على الصعيد السياسي . وتلك الأمور جميعاً أسهمت في تشكيلات وسياقات جديدة اصطبغ بها الفن القصصي في سورية، وعلى الرغم من التمايز والتفرد، اللذين اتسمتا بهما القصة القصيرة في السبعينيات عما كانت عليه في العقدين السابقين إلا أنّنا لا نستطيع أن نعتبرها نتاجاً مستقلاً ومنفصلاً عما كان قبله، بل لا بد أن يكون هذا النتاج على تباين توجهاته امتداداً للاتجاهات الرئيسية التي سادت في العقدين السابقين مع استفادة الكتّاب الشباب من المصادر

[1] كتاب :"سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية" حسام الخطيب ط5، دمشق 1991 صفحة :81
[2] المرجع السابق صفحة 82

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الثقافية، التي تم إطلاعهم عليها، فضلاً عن التجارب الذاتية لكل كاتب التي تزيد، أو تنقص تبعاً لتجربته الحياتية، فاتخذ الاتجاه القومي منحىً آخر، ولم تعد الشعارات الناجزة تفي بالغرض المنشود وإنما ظهر وعي جديد يشير إلى ضرورة التحرر الداخلي، وتحقق الكثير من الحقوق للإنسان في بلده" [1]. وانطلاقاً من ذلك يبدو من غير الصواب تماماً القول إنّ قصة السبعينيات كانت قصةً واقعيةً بمعناها في الخمسينيات، بل قد تكون تعميقاً لها نضجاً ووعياً وأداءً من بعض الوجوه، إنها واقعية من نوع جديد يمكن أن نسميها الواقعية الجديدة كما سنجد في نتاج الشباب استمراراً للاتجاه الوجودي.

لقد استطاعت قصة السبعينيات التحرر، إلى حد ما، من هيمنة ما هو إيديولوجي، وتمكّنت من تملّك الواقع معرفياً وفنّياً، واستمرت الأسماء التي ثبتّت حضوراً لها في الستينيات في متابعة الكتابة والنشر في السبعينيات، أمثال: **عبد السلام العجيلي، وزكريا تامر، وغادة السمان** التي حاولت القيام بجولة فكرية في رحاب الأدب والأدباء والحياة في مجموعتها القصصية " **رحيل المرافئ القديمة**" وتحمل هذه الجولة في ثناياها مسحات نقدية تحارب التخلف وتفضح الزيف وتهدم القواعد غير المستندة على أي أساس متماسك مما يشتهيه كل مفكر حر وقارئ قلق ومتشوق لمعرفة الحقيقة .

وفي الثمانينيات التي لم تكن أحسن حالاً من العقود السابقة فيما يعني الهزائم والانكسارات على المستوى القومي من حرب لبنان الأهلية إلى الاجتياح الإسرائيلي له إلى إجهاض المقاومة الفلسطينية ، ثم ظهور الانتفاضة الفلسطينية، التي كانت خير ضيف حل على هذا العقد من وجهة الأحداث السياسية التي تشكل في مجملها ارتكاسات وانتكاسات، إذ شحذ القاصون أقلامهم ليبدوا إعجابهم بها مقدمين الثناء والتمجيد محاولين أن يرصدوا بطولاتها. وتابعت القصة في سورية سعيها الدؤوب في رصد تجليات المرحلة على تنوعاتها. وفي متابعة سيرورتها التي اتسمت بالتطور من مرحلة لأخرى كماً وكيفاً، فقد بلغ النتاج القصصي في الثمانينيات مئة وخمساً وثمانين مجموعة أي بمعدل 17مجموعة في كل

[1] (1)كتاب : "القصة القصيرة السورية ونقدها في القرن العشرين" أحمد جاسم الحسين. ط1. اتحاد الكتاب العرب، دمشق2001 صفحة 197

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عام تقريباً نصفها أصدرها قاصّون ينشرون مجاميعهم لأول مرة " ([1]). وشهدت المرحلة ظهور أصوات قصصية جديدة مثل: اعتدال رافع، وقمر كيلاني، وزهير جبور، وإبراهيم خريط، وأحمد زياد محبك.

ويمثل عقد التسعينيات نقطة تحول على غير مستوى وثورة المعلومات، وبروز مفهوم العولمة التي حوّلت، أو كادت تحوّل، القارات السبع إلى قرية كونية. ولم يكن الوطن العربيّ بمنأى عن ذلك، كما لم يكن الإبداع الأدبيّ العربيّ بمنأى عنه أيضاً، ويمكن التمثيل لذلك بما شهده الفنّ القصصي السوريّ آنذاك من تحوّلاتٍ مهمّةٍ، كان من أبرزها على المستوى الأدبي ما أبداه كتّاب القصة القصيرة من كفاءةٍ عاليةٍ في استيعاب ما كان يضطرم آنذاك من أحداث، ومن ثمّ صوغها ضمن قوالب فنية لم تكن الأولوية فيها للمضمون على الرغم من وطأته في الواقع وفي الذات الإبداعية. ولم يكن الاهتمام بالشكل مجرّد زُخْرُف أو زينة، بل كان فعلاً حداثياً حمل شيفرات الواقع المعقدة على نحو شديد الخصوصية الفنية.

وإذا كانت سيرورة القصة في سورية أشبه بالخط البياني الذي سجل حركة تصاعدية من مرحلة إلى أخرى ومن عقد إلى آخر، فإن ذلك الخط كان وصل ذروته في التسعينيات على مستوى الكم والقيمة معاً، في ما يخص الكمّ صدر "ما يزيد على

خمسمئة وتسع وعشرين مجموعة قصصية لنحو مئتين وخمسين قاصاً وقاصة، أي بمعدل ثلاث وخمسين مجموعة كل سنة ومجموعة كل سبعة أيام" ([2]). أمّا فيما يخص النوع فقد عني معظم قصاص التسعينيات بمعظم قضايا المجتمع السوري، ومشكلاته في المرحلة التي صدر خلالها وفي مراحل سابقة على عقد التسعينيات نفسه. وعلى الرغم من تفاوت أدوات مبدعيه في هذا المجال، فإنَ الأغلب الأعم من المبدعين أبدى كفاءةً واضحةً في تعرية القيم السالبة لتقدم المجتمع وتطوره، وفي الغوص على أشكال تجليها في الواقع من دون صخب وافتعال ومباشرة.

[1] كتاب : "القصة القصيرة السورية ونقدها في القرن العشرين" أحمد جاسم الحسين. ط1. اتحاد الكتاب العرب، دمشق2001 صفحة 254
[2] كتاب :"القصة القصيرة في سورية –قص التسعينيات-" نضال الصالح/ ط1. اتحاد الكتاب العرب، دمشق2005. ص11

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وكان من سمات ذلك العقد، بالإضافة إلى ما سبق متابعة الأصوات القصصية، التي شكلت "علامات فارقة في مسار القص السوري والكتابة والنشر في العقد نفسه أمثال عبد السلام العجيلي، وزكريا تامر، وسعيد حورانية، وبديع حقي، فظهور أصوات جديدة تمكّن عددٌ منها من حيازة مكانة بارزة في المشـهد القصصي العربي عامة، ونهضت

المسابقات الأدبية بدور مهم في التعريف بأصوات جديدة، واتسع حضور المرأة القاصة التي تابعت ما كان اتسم به القص النسوي في العقود السابقة، وشهدت التسعينيات ظهور شكل أدبي جديد هو القصة القصيرة جداً، الذي بات ينافس القصة القصيرة ، ويبدي سعياً لتأسيس نظرية خاصة به تجعل منه جنساً أدبياً مستقلاً، وليس فرعاً من أصل. واستقطب هذا الشكل الجديد مجمل الأصوات القصصية الجديدة آنذاك.

إن هذا الزخم الفني الذي ميز قصة التسعينيات عنها فيما مضى من العقود شكل محرضاً للحراك النقدي السوري، إذ سعى هذا الأخير إلى تتبع سيرورة القصة في سورية وتقييم نتاج هذا العقد.

وتتابع صدور المجموعات القصصية في سورية ليصل مع نهاية القرن العشرين إلى أكثر من ألف مجموعة قصصية، ضمت ما يقرب من خمسة عشر ألف قصة، وقد نشر ما يزيد على هذا العدد في الصـــحف على شكل قصص مفردة لم تنشر في

مجموعات، إذ ارتبط هذا الجنس الأدبي بالصحافة منذ نشأته ارتباطاً كبيراً، ولم يكن من المألوف أن تنشر القصص في مجموعات قبل أن تنشر في الصحف، لكن هذه الظاهرة تغيرت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين؛ لقلة عدد الصحف، ولجرأة القصص، ولتراجع العلاقة بين الجمهور والصحافة نتيجة وجود وسائل إعلامية أخرى وسوى ذلك.

وبرز في تاريخ القصة القصيرة السورية عدد من الأعلام الذين ارتبطت ببعضهم ظواهر فنية وموضوعاتية، وتمكنت القصة القصيرة من نقل هموم الناس وأوجاعهم والتأريخ لحياتهم اليومية، ودارت موضوعات القصص حول قضايا اجتماعية ووطنية وقومية وإنسانية، إذ نعثر على عشرات القصص التي تحدثت عن القضية الفلسطينية،

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والاستقلال، وحرب الجزائر، وحرب تشرين، واحتلال جنوب لبنان، وغير ذلك. مثلما نجد قصصاً تناولت قضايا المرأة والعادات والتقاليد والفساد والرشوة والقمع.. وقد اشتهر بعض القاصين بجرأتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية مثل **(سعيد حورانية وعبد الله عبد وزكريا تامر وإبراهيم صموئيل وغادة السمان وهيفاء بيطار)**.

وانشغل آخرون بقضايا الموت والحياة متأثرين بالمذهب الوجودي مثل **(جورج سالم)**.

كما ظهر في القصة السورية تيارٌ اتخذ من السخرية أسلوباً فنياً للتعبير، وبرز فيه **(حسيب كيالي وخطيب بدلة وأحمد عمر ونجم الدين سمان)**.

وسعى قاصون كثيرون في حركة القصة السورية مسعى تجديدياً بهدف الغوص أكثر في أعماق الواقع؛ والتعبير الفني الأميز، وتركوا أثراً وصل إلى تاريخ القصة العربية من مثل: زكريا تامر ووليد إخلاصي.

وأسهمت المرأة في القصة السورية بفاعلية مشهودة من خلال قصص تناولت البيئة كما في المجموعات القصصية "**قصص شامية**" و "**وداعاً يا دمشق**" و "**يضحك الشيطان**" و "**نظرة في أدبنا الشعبي**" للكاتبة **(إلفت الإدلبي)**، وقصص أخرى ذات طابع رومانسي مثل : " **أنا والمدى** " و "**كيان** " و "**الكلمة الأنثى** " للكاتبة **(كوليت خوري)**، وقصص تعالج قضايا اجتماعية ووطنية للكاتبة **(ناديا خوست)** والكاتبة **(دلال حاتم)**.

وعُرف عن القصـــة الســـورية عبر تاريخها ارتباطها بالواقع وقدرتها على انتقاده، وســـعيها لمواكبة جديد المجتمع وأوجاع الناس، على الرغم من وجود قصـص كثيرة مفتقرة إلى الأسس الفنية، متخذة من الوعظ طريقاً لها ولاسيما في عقدي الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين.

نخلص مما تقدم إلى أن القصة كانت قد أخذت مكانها عند أدباء سورية وقصّاصيها، وقد استجابت طبيعة القصة القصيرة السورية لمستحدثات حركة المجتمع العربي السوري، فواكبت مجمل التغييرات الوطنية، والاجتماعية والذاتية وعايشت سيرورة حياته ولا سيّما أن مرحلة نضوجها وازدهارها تواكبت مع أحداث كثيرة ومتنوعة جرت في سورية

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

خلال مائة عام انصرمت، ويمكننا إجمال المراحل التي مرت فيها القصة القصيرة السورية بما يأتي: مرحلة دوافع القص الفني، ومرحلة الواقع القصصي، مرحلة الذروة الفنية ، مرحلة التنوع الموضوعي.

7. الخلاصة والاستنتاجات

وهكذا رأينا كيف تطورت الأشكال السردية في الأدب العربي عموما وفي الأدب السوري خصوصا في العصر الحديث ،وقد كان هذا التطور نتيجة لعوامل كثيرة منها : الاطلاع على الفنون الغربية، وحركة الترجمة ،وانتشار التعليم والسعي إلى مواكبة التطور في المجتمع ، إضافة إلى نشاط حركة إحياء التراث العربي ونشره محققا، وقد سعى الكتاب للتجديد في أسلوب كتاباتهم مع محاولة إحياء التراث القديم ، والعناية بالأحداث التاريخية وصبها في قالب قصصي أو روائي، حتى تكون في متناول كافة الطبقات كون النثر في هذه الفترة خاطب الأمة بمختلف طبقاتها، فلم يعد الخطاب موجهًا للفئة المثقفة فقط ، واتصف الخطاب ببساطة العبارة وعدم المبالغة في التزيين اللفظي والابتعاد قدر الإمكان عن الزخرفة التي تُوقع الكلمة في شرك الغموض ، واللعب على وتر الكلمات للتأثير في الجماهير المتلقية.

وقد تطورت الحركة الأدبية بشكل عام والنثرية بشكل خاص؛ حيث ظهرت أشكال سردية جيدة وأنماط قصصية عديدة ، كما أن المرأة في هذه الفترة قد أسهمت في النهضة الأدبية وكان لها دور ريادي في دفع عجلة النثر إلى الأمام من خلال أعمال تناولت البيئة والرومانسية وقضايا اجتماعية ووطنية ...

كما عمد الأدباء إلى توظيف الواقع والخيال والتاريخ في فن الرواية والقصة القصيرة، ولم يهملوا العناية بالعناصر الفنية ؛ بل طوروا أساليبهم وارتقوا بها .

8. التوصيات والمقترحات:

- يجب أن يهتم الباحثون بدراسة الحركة الأدبية في سورية بجميع أجناسها وفنونها.
- يجب أن يعود ا لباحثون لدراسة البدايات الأولى للأنواع السردية في الأدب السوري الحديث، ومراحل تطوره.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N25 العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- على الباحثين أن يسلطوا الضوء على الأدباء السوريين روّاد النهضة الأدبية الحديثة، ويعملوا على دراسة مؤلفاتهم ونشرها.
- الأدب مرآة المجتمع، والأديب مرآة عصره؛ لذلك يجب الاهتمام بقضايا المجتمع، ونقل معاناته ومعالجتها بدلا من معالجة قضايا ثانوية، أو دخيلة أو ترجمة قضايا شعوب أخرى .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/08/2024
المجلد الثاني
العدد الخامس و العشرون م.2 : ص.ص 459-489 ISSN: 2958-8537 Issue: N25
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

9. المصادر والمراجع

1- " لسان العرب "ابن منظور الأنصاري / دار صادر – بيروت / الطبعة: الثالثة / ج/3

2- كتاب: " نشأة النثر الحديث وتطوره "/ عمر الدسوقي / دار الفكر العربي /الطبعة: ٢٠٠٧م

3- كتاب " فنون الأدب المعاصر" / عمر الدقاق/ دار الشرق العربي – بيروت /

4- كتاب " الرواية العربية، النشأة والتحول " محسن الموسوي . ط2. دار الآداب- بيروت: (1988)

5- كتاب " بانوراما الرواية العربية" / سيد حامد نساج . مكتبة غريب – القاهرة

6- كتاب :" التطور الفني للاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية " / سمر روحي الفيصل / دار النفائس: بيروت:1996

7- كتاب :" عبد السلام العجيلي مبدع نبضات القصة والرواية " / عبد السلام أرناؤوط الهيئة العامة السورية للكتاب 2021

8- كتاب " الأدب العربي الحديث مختارات من الشعر والنثر" د.طالب خليف السلطاني صفحة 110

9- كتاب :"القصة القصيرة في سورية- تضاريس وانعطافات"/حسام الخطيب ط1. وزارة الثقافة، دمشق1982.

10- كتاب :"سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية" حسام الخطيب ط5، دمشق 1991

11- كتاب : "القصة القصيرة السورية ونقدها في القرن العشرين" أحمد جاسم الحسين. ط1. اتحاد الكتاب العرب، دمشق2001

12- كتاب :"القصة القصيرة في سورية –قص التسعينيات-" نضال الصالح/ ط1. اتحاد الكتاب العرب، دمشق2005.